المحاضرة الخامسة/الثلاثاء/31/3/2020

النفس: تعريفها، أقسامها، فضائلها، طبيعتها، دليل وجودها عند الكندي

د, رائده الدالي

تعريف االنفس:

التعريف المتداول بين الفلاسفة للنفس هو أنها استكمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة.(وهذا تعريف أرسطي). إلا أن الكندي قد وضع في رسالته الحدود والرسوم ثلاثة تعريفات للنفس منها: أن النفس هي تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابل للحياة، وفي تعريف آخر أنها: جوهر عقل متحرك من ذاته بعدد مؤلف.
هذه التعريفات للنفس عند الكندي تحمل صبغة أرسطية، وأفلاطونية، وفيثاغورية.
وقد بحث الكندي في النفس من خلال هذه الآراء من دون أن يصرح برأيه. وتبنى التعريف الأرسطي للنفس بأنها كمال أول لجسم آلي، وأنكر القول بأن "النفس صورة الجسد".

<u>تحليل تعريف النفس أنها "كمال أول لجسم آلي"</u>

كمال أول: الكمال ما يصير به الشيء موجوداً بالفعل وهو نوعين:

1- ما تصير به الذات ذاتاً بالفعل: ويسمى الكمال الأول(ما تصير به ذات العالم موجودة بالفعل)
2- ما تصير به الصفة موجودة ويسمى الكمال الثاني(العلم) والكمال الثاني مترتب على الكمال الأول. لذلك لا تدخل الكمالات الثاني في العريف.

النفس كمال بالقياس إلى طبيعة الجنس الناقصة والتي تتم وتكتمل نوعاً بفضل الفصل الذي ينضاف إليها. فهي منوعة للجنس بواسطة الفصل. يقول الكندي: الغاية أن نبلغ (كمال النوع الإنساني).

<u>الجسم:</u>لا للعقل كمال أول كما أن للنفس كمال أول. لذلك وضع الجسم في حد النفس كونها كمال أول ليخرج الكمال الأول الذي يكون للعقل. لأن العقل لا يرتبط بالجسم لا ذاتا ولا فعلا، بينما النفس وإن كانت مجردة من جهة، إلا أنها مرتبطة بالجسم من جهة أخرى. والمقصود بالجسم هو الجسم الطبيعي.

<u>آلي:</u> الآلية عند الحكماء تطلق على نوعين:

1- الآلة بمعنى الأعضاء كاليد، والعين، والأذن، والقلب....
2- الآلة بمعنى القوة التي تحرك الأعضاء كالقوة الباصرة، والقوة الذائقة، والقوة السامعة، واللامسة، والشامة.

الفرق بينهما أن الأعضاء آلات بتوسط القوى، بينما القوى آلات دون واسطة. والآلي في التعريف هو بالمعنى الثاني أي (القوى). لا الأعضاء. لكي تدخل النفس الفلكية في التعريف، لأن النفس الفلكية ليس لها أعضاء وإنما لها قوى.

هذا التعريف تتدرج فيه النفوس الثلاثة النباتية، والحيوانية، والفلكية، ويخرج منه العقل، كما تخرج الطبيعة فالمعادن تفعل من دون استخدام آلات.

إذا: هذا الموجود إذا نظرنا إليه بما هو ذات مجردة عن المادة يقال له عقل، ومن هذا الباب عرف الكندي النفس بأنها (عقلٌ بالقوة). وإذا نظرنا إليه من حيث ارتباطه بالجسم فهو(نفس) فهوية النفس متقومة بإضافتها إلى الجسم، لذلك أدرج الحكماء النفس في مبحث الطبيعيات لأن الطبيعيات تبحث عن الأجسام، أو موضوع العلم الطبيعي هو الجسم.

لماذا أنكر الكندي أن تكون النفس صورة؟

التعريف للشيء يجب أن يكون جامعاً مانعاً، وتعريف النفس (بالصورة، كأن نقول النفس هي صورة لجسم آلي) لا يكون جامعاً. لأنه يخرج النفس الإنسانية من التعريف. فالصورة تحل في المادة أو تنطبع فيها، والنفس الإنسانية مجردة عن المادة. وعندما نقول النفس الصورة فباعتبار المادة التي تحلها.

أقسام النفس

تبنى الكندي تقسيم أفلاطون للنفس تقسيماً ثلاثياً على **ثلاث قوى** وهي:

النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس العاقلة.

والنفس عند أفلاطون باقية بعد فناء البدن، وهي حية ، علامة، فعالة بالقوة، وهي من جوهر الهي.(كضياء الشمس من الشمس).

أما أرسطو فقال بثلاثة أنواع من الأنفس:

النفس النباتية: ووظيفتها التغذي والنمو. **النفس الحيوانية:** لها التغذي والنمو الذي عند النبات وتزيد عليها بالحس والحركة. **النفس العاقلة:** وهي القوة المختصة بالإنسان دون غيره من الكائنات.

والنفس عند أرسطو هي صورة الجسم وتفنى بفناء البدن.

تقسيم الكندي للنفس:

جمع الكندي بين التقسيم الأرسطي والتقسيم الأفلاطوني للنفس، فجعل لكل نفس قوة تختص بها:

أقسام النفس عند الكندي:

1- النفس النباتية. 2- النفس الحيوانية. 3- النفس الإنسانية.

ويشير الكندي أن هذه الأقسام الثلاثة لا تعني أن هنالك ثلاثة أنفس، وإنما هي نفس واحدة وقواها متعددة. فلكل قسم من أقسام النفس قوة تختص بها، وإن كانت بجملتها نفس واحدة.

قوى النفس: (القوة الشهوية، القوة الغضبية، القوة النطقية)

النفس النباتية فيها القوة الشهوية، وبفضل هذه القوة تنجذب النفس إلى محبوباتها ومرغوباتها من المأكل والمشرب والمنكح، وهذه ما تسمى بالملذات الحسية.

والقوة الشهوية عند الكندي مشتقة من الشهوة، وهي الشوق عن طريق الانفعال إلى استزادة ما نقص من البدن، أو إلى انقاص ما زاد فيه، وهذا الانفعال يجري من دون فكر وتمييز، فهو خلق من أخلاقها، مركوز فيها بالطبع والسبب في ذلك، أنه بهذه القوة قوام البدن وبقاؤه.

1- النفس الحيوانية وفيها القوة الغلبية (الغضبية): بهذه القوة تنجذب النفس نحو القهر والغلبة والرياسة، والغضب كما عرفه الكندي هو غليان دم القلب لإرادة الغيظ، هذا الغضب إن بقي في النفس أصبح حقداً، والحقد مع ترصد فرصة الانتقام يصبح ذحلاً.

هذه القوة الغضبية هي خلق من أخلاق النفس ملازم لها، وموجود فيها بالطبع، والسبب لأنه بهذه القوة تدفع النفس الضرر، وتجتلب المنافع. (حب البقاء).

2- النفس الناطقة وفيها القوة العقلية (الفكر)،تنجذب النفس بهذه القوة نحو المعارف والعلوم، وكذلك اكتساب الفضائل، لأن النفس الناطقة لها شوق لمعرفة الحق، وكذلك لها شوق لبلوغ الكمال وتحقيق السعادة.

وبناء على هذه الأقسام للنفس وقواها يقسم الكندي أخلاق النفس وهي مجموعة الفضائل والرذائل التي تتصف بها النفس، وبناء عليها تصنف الأخلاق بين أخلاق محمودة تبعا لفضائل النفس، وأخلاق مذمومة تبعاً لرذائلها.

فضائل النفس: (العفة،النجدة، الحكمة)

1- **العفة :** وهي فضيلة النفس النباتية بقوتها الشهوية.
2- **النجدة:** وهي فضيلة النفس الحيوانية بقوتها الغلبية (الغضبية).
3- **الحكمة:** وهي فضيلة النفس الناطقة بقوتها العقلية.

هذه الفضائل الثلاث عند الكندي تسمى(**بسور الفضائل**)، أي أنها الأساس الذي تندرج تحته كل الأخلاق والصفات الفاضلة والمحمودة.

ولكل فضيلة منها طرفان إما من جهة الإفراط، وإما من جهة التقصير (التفريط).

فضيلة العفة للقوة الشهوية في النفس النباتية: من جهة الإفراط هي الشره والنهم في المأكل والمشرب. والشبق المنتج للعهر من جهة النكاح، والرغبة في المقتنيات وهي الداعية إلى المنافسة والحسد.

أما من جهة التقصير (التفريط) فهي الكسل وأنواعه.

ولكي تقوم القوة الشهوانية بوظيفتها الحقة عليها بالاعتدال بين ذلك، أي أن تتناول الأشياء الضرورية لتربية البدن وحفظه، والإمساك عن تناول ما هو غير ضروري.

فضيلة النجدة للقوة الغلبية (الغضبية) في النفس الحيوانية: من جهة الإفراط هي التهور والهوج، ومن جهة التقصير (التفريط) هي الجبن.واعتدال القوة الغلبية(الغضبية) هو الاستهانة بالموت في أخذ ما يجب أخذه، ودفع ما يجب دفعه.

الحكمة وهي فضيلة القوة العقلية للنفس الناطقة: وتعني هذه الفضيلة عند الكندي الاعتدال(اعتدال الطينة) أي أن النفس تصبح مستعدة لقبول كمالاتها، والخلق المضاد للاعتدال هو الجربزة، والموارية، والمخادعة.

فالنفس الناطقة هي ملكة العدالة الانسانية، حيث تصبح الأخلاق الفاضلة ملكة للنفس أي راسخة فيها، تتصرف بها بالاختيار، ثم تنعكس آثار النفس على محيطها. والجور هو المضاد للعدل، وهو الجهل في مقابل الحكمة. وبملكة العدالة تنال النفس السعادة في الدنيا وفي الآخرة. فاعتدال الطينة عند الكندي يعني سيطرة القوة الناطقة على القوتين الشهوية والغضبية. لأن النفس الشهوية اذا افلتت من سيطرة النفس الناطقة أفرطت في المأكل، والمشرب، والمنكح فتهلك. وإذا ساعدتها القوة الغضبية قويت بقوتها، ثم اذا مالت النفس الناطقة إليها دخل عليها الفساد وأظلمت، وأعاقتها عن امتلاك الفضيلة التي بها تصل إلى الحكمة وإلى عالمها الإلهي.

أما إذا سيطرت النفس الناطقة بقوتها العقلية على هاتين القوتين (الشهوية- الغلبية) تحصل النفس على كمالتها العملية(الأخلاق)أو ما يسمى بالعقل العملي، ثم كمالاتها (العلمية) أو ما يسمى بالعقل العملي ويعني علم الأشياء الكلية بحقائقها، ومهمة النفس الناطقة استعمال ما يجب استعماله من الحقائق. لأن النفس إذا عملت بما علمت تصل إلى الحكمة.

ويقول الكندي: إن أفلاطون يشبه القوة الشهوانية في الإنسان بالخنزير، ويشبه القوة الغضبية بالكلب، والقوة الناطقة العاقلة بالملك، فمن استولت عليه الشهوانية فهو كالخنزير، ومن استولت عليه الغضبية فهو كالكلب، ومن استولت عليه قوة النفس المنطقية ويتجرد للتفكير والبحث عن حقائق الأشياء، واكتناه الأسرار هو رجل فاضل قريب من التشبه بالله. ذلك أن صفات الله هي: الحكمة، والقدرة، والعدل، والخير، والجمال، والحق، وفي وسع الإنسان قدر الطاقة أن يصبح حكيماً، عادلاً، خيراً، حريصاً على الحق والجمال، وبهذا يشارك في صفات الله".

دليل الكندي على وجود النفس واستقلالها عن الجسد:

يثبت الكندي أن النفس مستقلة عن الجسد، ويقدم لهذه المسألة دليلاً يقوم على فكرة التمانع ومفاد هذا الدليل:

أن القوة الغضبية قد تتحرك على الإنسان في بعض الأوقات فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم، فتضادها هذه النفس(الناطقة)، وتمنع الغضب من أن يفعل فعله، أو أن يرتكب الغيظ فتضبطه كما يضبط الفارس الفرس، إذا هم أن يجمح به. وهذا دليل بين على أن القوة التي يغضب بها الإنسان غير هذه النفس التي تمنع الغضب أن يجري إلى ما يهواه. لأن المانع غير الممنوع، لأنه لا يكون شيء واحد يضاد نفسه.

فأما القوة الشهوانية فقد تتوق في بعض الأوقات إلى بعض الشهوات، إلا أن النفس العقلية بما فيها من القوة الفكرية تدرك الخطأ وأن هذا يؤدي إلى حال ردية، فتمنعها عن ذلك وتضادها. وهذا أيضاً دليل على أن كل واحدة منهما غير الأخرى.
إذاً: فالنفس عند الكندي هي النفس الناطقة المجردة المستقلة عن الجسد، لكن لا يمكن أن تعرف هذه النفس إلا من خلال الجسد الذي هو مضاد لها.
وهذه النفس الإنسانية التي حدها الحياة والنطق والموت، هي رتبة متوسطة بين الرتبة الملائكية التي حدها الحياة والنطق، وبين الرتبة البهيمية التي حدها الحياة والموت. فالإنسان مركب من النفس والجسد، والنفس أعظم وأشرف من الجسد لأنها باقية حية، أما الجسد فهو فان مائت، والنفس هي المدبرة للجسد، فهي جوهر من نور الله، وهي ذات من عرفها عرف كل شيء. وقد استخدم الكندي دليلاً بالقياس التمثيلي ليثبت جوهرية وشرف النفس وعلو مرتبتها، عندما شبه العالم بالبدن، والله تعالى بالنفس فيقول في رسالته" أنه توجد جواهر لا أجسام" فكما أن تدبير الجسد صادر عن النفس، ونستدل على وجود النفس من آثارها، فكذلك تدبير أمر العالم صادر عن مدبر نستدل على وجوده من مشاهدة آثاره في هذا العالم.

طبيعة النفس:

1- النفس جوهر ذات شرف وكمال، عظيمة الشأن، جوهرها من جوهر الباري عز وجل، كقياس ضياء الشمس من الشمس.
2- النفس منفردة عن الجسم مباينة له، ويستدل على ذلك من شرف طباعها ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب.
3- النفس من نور الباري عز وجل، إذا فارقت البدن علمت كل ما في العالم...ويستشهد بقول أفلاطون:" إن كثيراً من الفلاسفة القدماء الطاهرين لما تجردت نفوسهم بتهاونهم بالأمور المحسوسة، وتفردوا بالنظر والبحث في حقائق الأشياء، انكشف لهم عالم الغيب هذا والنفس بعد مرتبطة بالبدن في هذا العالم المظلم، فكيف إذا فارقت البدن وصارت في عالم الحق الذي فيه نور الباري سبحانه". صدق أفلاطون في هذا القياس، وأصاب به البرهان الصحيح.
4- النفس لا تنام، والدليل على ذلك لو أن النفس تنام لما كان الإنسان إذا رأى شيئاً في النوم يعلم أنه رآه في النوم.
5- النفس العقلية كالمرآة إذا كانت صدأة لم يتبين فيها صورة شيء، فإذا زال عنها الصدأ ظهرت فيها جميع الصور. على هذا القياس صفاء النفس فهو أن تتطهر النفس عن الدنس(الجهل) باكتساب العلم لتظهر فيها صورة جميع الأشياء، وبحسب جودة صقالتها تكون جودة معرفتها بالحقائق.
6- النفس باقية بعد الموت، فإذا فارقت البدن أصبحت في عالم العقل فوق الفلك، في نور الباري، ترى بنوره كل ظاهر وخفي. وليس هذا لأي نفس، وإنما النفوس الشريفة التي فارقت الملذات الحسية، واتجهت للملذات العقلية ولمعرفة ذاتها، بهجر الدنيا ولذاتها الدنية.

7- النفس علامة بالقوة تخرج إلى الفعل بمباشرة معلوماتها. والجسد هو آلة لتحصيل العلوم والمعارف.

النتيجة: يتفق الكندي مع أفلاطون بأن النفس مجردة، وأنها من نور الباري، وأن مكانها بعد تجردها في عالم الربوبية إذا هي تبعت طريق الفضيلة والعلم، وتطهرت من الجهل، إذ ليس كل نفس تنال هذه الرتبة. إلا أن الكندي لم يبحث في النفس من حيث هي مجردة.

كذلك تبنى الكندي رأي أرسطو في النفس وأنها كمال أول للجسم، لكنه أنكر أن تكون النفس صورة الجسد، وتفنى بفنائه، وأكد على أن النفس حية علامة وفعالة بالقوة، وهي باقية.كما أنه أكد في رسالته (كلام للكندي مختصر وجيز) أن لا خلاف بين أرسطو وأفلاطون حول طبيعة النفس فكلاهما علم أن النفس جوهر بسيط.

بحث الكندي في النفس من حيث ارتباطها بالجسد، لأن الإنسان عنده هو المركب من نفس وجسد، ثم أكد على الطبيعة الالهية للنفس، فهي مرتبطة بالجسد، لكنها مفارقة له ومنفردة ومستقلة عنه. لكنه لم يصرح إذا كانت النفس حادثة أم قديمة، مع قوله بأن النفس من أصل وجوهر الاهي، ونورها من نور الله، ومع إقراره أيضاً بامكانية معرفة الإنسان لنفسه أي أصله، ومعاده، . واعتقاده ببقاء النفس بعد الموت.

فيقول:" ألا تعلم أن مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة، ثم تصير إلى العالم الحقيقي فتبقى فيه أبد الآبدين".

يعجب الكندي لأمر الإنسان وجهله لنفسه فيقول: " والعجب من الإنسان كيف يهمل نفسه ويبعدها عن باريها، وحالها هذه الحال الشريفة".

ويقول:"إن مقامنا الحق هو في العالم العلوي الشريف الذي ستنتقل إليه النفوس بعد الموت، حيث تكون بقرب الخالق، ونوره، وهنالك تنعم بنوره، ورحمته".